تزوير التـــاريخ

للاستعمار الحديث براعة منكرة فى تزوير التاريخ، وإخفاء بعض معالمه، وإبراز البعض الآخر، بعد تشويه المفاهيم، وتحريف الكلم عن مواضعه.

وغرضه من هذا هو خداع الأجيال الناشئة عن اصلها، ولى زمامها عن وجهتها العتيدة..

وكما ينقل مجرى النهر لتنسكب مياهه فى مصب آخر، أو لتذهب بددا فى أرض عمياء، ينقل مجرى التاريخ، وتحور أحداثه واحكامه حتى يصبح لها معني بدل معنى، وتوجيه غير توجيه..

وقد تضافر المستعمرون على تمزيق التاريخ الإسلامي وتحريفه خلال القرنين الأخيرين ليكون فى سياقه الجديد المختلق عونا على الغزو الثقافى الواسع المنظم، وليمكن على إيحائه المصنوع صب الأمة الإسلامية الكبرى فى القوالب الكثيرة التى أعدت لها.

وهى قوالب شكلت بعناية ودهاء، كى تتبدد خلالها رسالة القرآن، وتتلاشى فى طول العالم وعرضه أمته الواحدة..

وقد ساعد على نجاح هذه الخطة إلى حد ما الضعف الخلقي والعلمي الذى صارت إليه الأمة أيام العثمانيين.

وأبرز مظاهر هذا النجاح وجود جماعات غفيرة تعتقد أن الدين لم يكن وراء حركات المقاومة للحملات الأجنبية على البلاد.. !

أى أنه - خلال الماضى - لم يكن له دور فى مدافعة الاحتلال الفرنسي ثم الاحتلال الانجليزى الطويل..

كانت المقاومة نابعة من بواعث أخرى مادية، أو محلية، أو عنصرية، أو أى شيء آخر.. إلا الدين !!

ويتبع ذلك الفهم عزل الدين مستقبلا عن حركات التحرر، وميادين المقاومة..

ومن يدرى؟ فقد ينمو هذا الوهم، ويوغل فى الشرود ليتهم الدين نفسه بأنه قيد على حركات الشعوب، وآمالها فى حياة أرقى وأرغد !!

ولا يطلب الاستعمار الثقافى أكثر من هذا الضلال..

ونرى لزاما علينا أن نكشف الحقائق التى يراد طمسها، وأن تقطع هذه السلسلة من الترهات والأباطيل التى راجت بين القاصرين والأغرار.

عندما احتل الفرنسيون مصر، كان الإسلام وحده، ولا شيء غيره هو الذى اشعل نار المقاومة المسلحة والمقاومة السلبية.

لقد استمات المسلمون فى مناضلة الغزاة وتعويق تقدمهم، وأرخصوا انفسهم وأموالهم فى سبيل الله، ولم يجبنوا أمام تفوق الفرنسيين العسكرى ورجحان كفتهم فى كل شيء، ولا أمام الخيانات المفاجئة من بعض المواطنين ..!!

وقاد الأزهر حرب الدفاع المقدس، فحكم الفرنسيون على عشرات من علماء الشبان بالقتل، ونفذ فيهم حكم الإعدام فرادى وجماعات ..!

كما نفذ حكم الإعدام بطريقة بشعة قذرة فى سليمان الحلبى قاتل الجنرال كليبر، ودخل الغزاة بخيلهم ورجلهم صحن الأزهر..

ولكن الثورة التى اشتعلت فى القاهرة والأقاليم لم تنطفىء جذوتها، وظلت جثث القتلى تفوح روائحها فى القاهرة وحدها أكثر من ثلاثين يوما..

ويقدر عدد المسلمين القتلى فى مقاومة الغزو الفرنسى بنحو نصف مليون قتيل فى مدن الوجهين القبلى والبحرى والقاهرة ..

ولكن الغريب المخزى أن صور هذه المقاومة الباسلة طويت طيا، بل محيت محوا من صحائف التاريخ المدروس بين جماهير الطلاب والمثقفين ..!

وسطر فصول المأساة نفس بارد ميت !!

وقام جهد مزورى التاريخ على أمرين:

أولهما سحب ذيول النسيان على دور الإسلام فى المعركة وإغفال تضحيات المسلمين الجسيمة وخسائرهم الفادحة فى الأرواح والأموال.

الأمر الآخر – وهو ما يطيش له اللب – إبراز الحملة الفرنسية على أنها خير وبركة لمصر والمصريين !!

فأى زور هذا الزور ؟؟ وأى هوان هذا الهوان ؟؟

* * *

وقامت الثورة العرابية فى مصر، وهى من ناحية الوزن التاريخى لثورات المبادىء تشبه الثورة الفرنسية.

إذ هى حركة تمرد على مفاسد بعض الملوك ومظالمهم، وتحرير للشعوب المضطهدة، ورد لحقوقها المسلوبة.

والفارق بين الثورتين، أن الفرنسيين قاموا بدوافع إنسانية مجردة ضد التحالف الجائر بين النظام الملكى ورجال الدين على افتراس الجماهير وانتهاب حقها..

أما الثورة العرابية فقامت بدوافع إسلامية ضد طغيان ملك مستبد، وعصبيات جاهلية، ولذلك قادها علماء الأزهر، ودعوا لها، ودافعوا عنها وحوكموا من أجلها.

بل إن أحمد عرابى كان أزهريا يستمد ثقافته العامة وحكمه على الأمور من تعليمه الدينى..

وقد دعم الثورة العرابية الفريقان المتباينان من علماء الأزهر:

رجال الفكر الحر وفى طليعتهم الشيخ محمد عبده ومدرسته.

ورجال التربية والتصوف وفى طليعتهم الشيخ عليش، والشيخ أبو عليان، وسائر شيوخ الطرق.

ومعنى هذا أن رجالات الإسلام على اختلاف مشاربهم كانوا ظهيرا للثورة العسكرية الشعبية ضد مظالم الأسرة المالكة، والافتيات على الأمة..

وأن الإسلام كان موقد هذه المقاومة العامة، وباسط أدلتها، ومضرم مشاعرها.

وأنه لم تستورد مبادىء من هنا أو من هناك لتشحن قلوب المصريين الفارغة أو تعلمهم ما يجهلون..!

وتدخل الانجليز لقتل الثورة فى مهدها، واستطاعوا بخبثهم الاستعمارى أن يستصدروا فتوى من الخليفة التركى بأن عرابى عاص، ثائر، ولا تجوز مساندته.

ولكن علماء الأزهر سارعوا فكذبوا الخليفة المضلل، وأصدروا فتوى بأن عرابى على حق، وأن العمل معه جهاد.

وشاءت الأقدار أن تنهزم هذه الثورة، وأن يحتل الإنجليز مصر.. وبدأت مأساة تزوير التاريخ..

فاهيل التراب على دور الإسلام والأزهر فى كفاح المظالم السياسية والاقتصادية، وأطبق الصمت على ما فعله رجال عظام - ببواعث دينية خالصة - لإحقاق الحق وإبطال الباطل..

والغرض من هذا التآمر المريب غمر الدين وأهله، حتى يبدو الإسلام وكأنه مخدر للشعوب !!

وأنها لخسة محقورة منكورة أن يجرد الشريف من فضائله، ثم تطرح عليه معايب الآخرين..

ولكن ذلك ما وقع، فقد محيت الصبغة الدينية عن هذه الثورة وعرضت فى الكتب المدرسية وغيرها مجردة من طابعها الإسلامى، كما يجرد الدم من كراته الحمراء والبيضاء، فماذا يبقى منه؟؟

لقد أصبحت وكأنها قصة قائد ثار على الحكومة فى شيلى أو كمبوديا !! وكفى..

* * *

واشتعلت نيران الثورة ضد الاحتلال الانجليزى سنة ١٩١٩ وجاء هذا الغليان المحلى بعد أن أفلح الاستعمار العالمى فى تقطيع الأمة الإسلامية الكبيرة سبعين قطعة لكل قطعة منها لواء مخطط، وجنسية مقررة، وتاريخ خاص. !!

ولكن المسلمين حيث كانوا، أبوا أن يفهموا الوطنية على أنها عبادة التراب، أو يفهموا القومية على أنها التعصب لجنس..

لقد واجهوا الأمر الواقع بتغليب منطق الإيمان وروح الأخوة، وأفهموا مواطنيهم من أتباع الأديان الآخرين أنهم مرعيو الذمام محفوظو العهود والمصالح حتى لا ينخدعوا بالدس الأجنبى.

ولم تشذ ثورة سنة ١٩١٩ عن سابقاتها، فكان الأزهر وفروعه فى الأقاليم حطبها الجزل، وكان الجهاد فى سبيل الله حاديها المسموع، وكان الأمل فى جنة الرضوان عزاء الشباب الذى صارع الغزاة حتى الموت..!

ان نداء الدين لم تضعفه المنسيات والملهيات التى صنعها الاستعمار بدهاء وأناة خلال عشرات السنين.

ولعل الثورة الجزائرية التى قدمت مليون ونصف مليون شهيد لإتمام طرد الفرنسيين من البلاد شاهد صدق على هذه الحقيقة.

فبعد مائة وثلاثين سنة بقيت جذوة الإيمان متوقدة تحت التراب، ما أن وجدت النفس الذى يضرمها، حتى التهبت نارها، واندلعت ألسنتها، واحترق الاستعمار فى سعيرها..

بيد أن محاولات الكيد للإسلام لم تنته، وأحسبها لن تنتهى، ولعل أسوأها الآن إبراز التاريخ السابق واللاحق، أو القريب والبعيد، فى صورة مأفوكة الملامح مزورة التقاسيم توهم الناظر أنه ليس وراء حركات المقاومة الوطنية دين دافع ولا عقيدة موروثة ..!!

وصحافتنا لا غفر الله لها تشيع هذا الكذب(١) .

ورأيى أن ذلك يحدث لخدمة أعداء العرب والإسلام، فإن عزل الدين عن روح المقاومة، فى الوقت الذى يمتزج الدين فيه بطلائع الهجوم ليس إلا توهينا للمدافعين وتثبيطا لهممهم، وحرمانا لهم من أمضى أسلحتهم..

وليت شعرى لماذا يقبل العالم تجمعا على أساس اليهودية يقوم بالعدوان، ويرفض تجمعا على أساس الإسلام يقوم بالدفاع؟؟

ولماذا تشوه الأحداث وتلفق الوقائع لإخفاء الوجه الإسلامى الشجاع وهو يكافح بشرف وفداء لحماية نفسه وأرضه ؟

ولحساب من يقع ذلك كله؟

إن المستفيد من هذا المسلك النابى هو الاستعمار والصهيونية، ونحن وحدنا الخاسرون!

ويتصل بجحد الدين وإنكار أثره اختلاق التهم لأهله، أو انتهاز خطأ يقع من أحدهم لتحمل أوزاره جماعات المتدينين فى كل مكان، بل ليحاسب الدين نفسه بهذا الخطأ ويحكم عليه بالإبعاد والإهمال !!

منذ أيام كنت أقرأ كلمات لشاعر معروف، شاعر اشتهر بالغزل فى نعال

---

(١) للدكتور «لويس عوض» رئيس القسم الأدبى فى جريدة الأهرام جهد غريب فى هذا المجال، آخره الزعم بأن كلمة «القاهرة» ليست عربية، بل هى هيروغليفية.

النسوان وجواربهن وفساتينهن، وفوجئت وأنا أقرأ بحملة على الدين والخطباء والمنابر فتساءلت: ما هذا السخف؟ وما سره؟

لقد كان هذا الشاعر يشدوا الجيل الخنافس، ويلهب الشهوات الهاجعة كى تنطلق لا تلوى على شيء..

فهو وأمثاله من أسباب الكارثة التى أصابت العرب أمام اليهود.!

ثم سمعناه يتألم للهزيمة النازلة، فقلنا لعلها توبة، وجدير بالمنحرفين أن توقظهم وخزات الهزيمة النكراء التى ألمت بنا..

ولقد صحت ضمائر شتى، وتذاكرت ضرورة العودة إلى الدين، والإنابة إلى الله بعد الذى وقع..

ولكن سماسرة الاستعمار تحركوا على عجل ليمنعوا النطق بالإسلام، ويسدوا الطرق المفتحة إليه، إنهم يريدون تطويل الغيبوبة التى وقعت فيها الأمة، إنهم يريدون تكثير الضباب الذى يحجب الرؤية، إنهم يريدون بقاء الزور الذى استخفت وراءه الحقائق..

من أجل ذلك يكتب أحدهم أن الإسلام لم يصنع ثورة شعبية، ويكتب ثان أن ضياع الإيمان لا مدخل له فى الهزيمة، ويكتب ثالث أن الدين يكتفى بإرسال الدعاء الحار على الأعداء، ويكتب رابع عن ضرورة إصلاح قوانين الأسرة!! فهى قضية المصير..

وتتنافس الأقلام العميلة لإتاهة الجماهير، وتعمية السبل أمام السائرين!!

لا أشك فى أن من المتصلين بالدين ناسا لهم أغلاط وسيئات.

وتاديب هؤلاء حق..

ولو أن الذين يضيقون بهؤلاء المنحرفين يغضبون لله لشاركناهم غضبهم وعذرناهم فى حكمهم..

لكنى رأيت من يتهم علماء الدين بطلب الدنيا، فلما تأملت فى سيرته، وجدته مجنونا بحب الحياة واصطياد أطايبها ! ووجدته يزدرى علماء الدين كما يزدرى لصوص العمارات لصوص الأحذية، أى أن لصا ذكيا يسخر من لص غبى!!

ووجدت هذا الذى يندد بانحراف المتدينين إذا رأى مؤمنا شريفا ذكيا نابها ضاق به، وعمل على هدمه، واجتهد فى إخفات صوته وإزالة أثره .. !!

لم ذلك؟ ولحساب من ؟

إن الإجابة ليست بعيدة. إن المقصد هو النيل من الإسلام نفسه، والحفاوة بما يؤخره والكراهة لما يقدمه..

ونسأل مرة أخرى: من المستفيد من هذه الأحوال؟

والجواب الفذ : الاستعمار والصهيونية فإن العودة إلى الإسلام مفتاح التغيير للموقف المستغلق فى الشرق العربى كله..

* * *

نهج الأحرار وراء نبيهم البطل

في السهول المستوية ينداح السيل حتى يبلغ منتهاه ما يعترضه شيء..

وفي حقول الأرز والقمح تهب الرياح، فتميل السيقان الغضة كلها، ما ينتصب منها عود..

وبين جماهير الدهماء، ينتشر التقليد الخاطيء أو العرف السيء فما يرده ذكاء.

أو تمتد رهبة السلطان المستبد وسطوة الملك الطائش فما يقمعها تمرد..

ولكن هناك رجالا من معادن فريدة، تشذ عن هذا العموم المهين!

فهم الجبال التي تقف مد السيل، والأشجار التي لا تنثني مع هبوب العاصفة..

وهم الصاحون بين السكارى، فاذا شاع خطأ تعرضوا هم له بالنقد، وإذا ألف الناس مسلكا لم يعجبهم تصرفوا هم منفردين على طريقة المعري حين قال:

تثاءب عمرو إذ تثاءب خالد   بعدوى فما أعدتني الثؤباء

وإذا ركع الناس بين يدي ملك ظالم، أو استكانوا لأوضاع مزرية، لمحت في أبصارهم بريق الأنفة، وفي سيرتهم شرف الحرية، فما يستريحوا حتى تنجو البلاد والعباد من آثار الفساد، وقيود العبودية.

أولئك هم الثوار الذين يعتز بهم الايمان، وتستقيم بهم الحياة.

وإذا كان الله جل شانه قد صان العمران البشري بالجبال، وقال في كتابه: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣١] فقد اقتضت حكمته العليا أن تصون المجتمع الانساني بهذا النفر من حراس الحقائق الرفيعة وحماة المعالم الفاضلة..!

فهم الدواء الخالد لكل ما يفشو في الدنيا من علل، وهم الأمل الباقي لبقاء الخير في الأرض، وإن ترادفت النوب واكفهرت الآفاق.

ربما كان عشق الحق خليقة فيهم فطرهم الله عليها كما قال سبحانه: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨١].

ولعشق الحق أعباء مرهقة، أولها الصبر على تثبيط الخاذلين، وكيد المعوقين والمخالفين بيد أن طبيعة الثورة على الباطل لا تكترث لشئ من هذا وفى الحديث الصحيح: «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة – أو حتى يأتى أمر الله – وهم على ذلك».

وأكثر الناس يعرف الحق معرفة حسنة، غير أنه لا ياسى لهزيمته، ولا يأسف لضياعه!

أو لعل إحساسا من الضيق يخامره لخذلان الحق، إلا أن هذا الاحساس يصطدم بمصالح النفس وضرورات العيش، ومطالب الأولاد، فيتراجع المرء رويدا رويدا عن هذا الشعور النبيل، ويؤثر الاستسلام على المقاومة، والاستكانة للواقع عن تغييره وإنكاره.!

وهذا السلوك لا يتفق مع طبيعة الإيمان، ويستحيل أن تتقبله نفس ثائرة لله، مؤملة فيما عنده.

فالغاضب لله ورسوله يذهل فى سورة يقينه عما يحرص عليه الجبناء من حياة ومتاع، ولا يرى أمامه إلا نصرة الحق ورفع لوائه وليكن ما يكون.

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من ولده ووالد ه والناس أجمعين».

على أن من العبث انتظار التفانى فى الحق من عبيد أهوائهم، وصرعى نزواتهم، إن الأمر يحتاج الى تربية وتبصرة حتى يكون مذاق الايمان أحلى فى فم الإنسان من كل لذة عاجلة.

عندما يشعر امرؤ بالسعادة لأنه واسى محروما، أو نصر ضعيفا، أو آمن قلقا، أو آوى هائما، أو أحصن عرضا، أو حقن دما، فهو إنسان كبير.

ومثله أهل لأن يفتدى عناصر الايمان بالنفس والنفيس.!

والثائرون ضد الظلم والناقمون من أعوانه رجال من ذلك المعدن الصلب، واندفاعهم لتقليم الأظافر الشرسة ضرب من الاصلاح العام للحياة والأحياء ﴿ **وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ** ﴾ [البقرة: ٢٥١].

حيث يكون العسف والخسف، لابد أن يكون الإسلام دينا ثائرا يطلب النصفة والرحمة.

وحيث يكون الاستعلاء والاستعباد، لابد أن يكون المسلمون ثوارًا ينشدون العزة والكرامة.

وقد تكون عقبى الجهاد موتا في غربة، أو قتلا في معركة، والثائرون ضد الباطل أدنى الناس الى البلاد والعطب.

وماذا في هذا؟ إن ما يحذره غيرهم هو الذى ينشدون لأنفسهم!

وتلك طبيعة الثائرين، أما أن يحيوا كما يريدون. أو يموتوا كما يريدون.

إنهم عزيمة تؤثر في الحياة سلبا وإيجابا، وليسوا عربات تشد إلى جياد الآخرين.

ويعجبني قول الطرماح بن حكيم، وهو يسعى الى الغنى حتى لا يحتاج إلى فسقة الأمراء فى عهده، أو إلى عداة الخلفاء - كما سماهم:

وإني لمقتاد جوادي وقاذف
به، وبنفسي، العام احدى المقاذف!
لأكسب مالا، أو أؤول إلى غنى
من الله، يكفيني عداة الخلائف

ثم اسمع إلى هذا الثائر الضارب فى مناكب الأرض طلبا للعزة يقول:

فيارب إن حانت وفاتي فلا تكن
على شرجع يعلى بخضر المطارف[1]
ولكن قبري بطن نسر، مقيله
بجو السماء، فى نسور عواكف!!
وأمسي شهيدا ثاويا فى عصابة
يصابون في فج من الأرض خائف!!

والمسلمون اليوم لن ينجحوا فى حرب الاستعمار إلا إذا استهتروا بالموت وأحبوه فى ذات الله.

---

(١) أى على نعش ملفوف بالاقمشة المطرزة.

إن أولئك الرجال الكبار هم أصحاب اليد الطولى فى صوغ التاريخ، وتوجيه أحداثه.

والأفراد النابهون لا الجماهير الكثيفة هم صناع الحياة وقادة الفكر والخلق!!

فكم من أمة ظلت تغط فى سباتها دهرا حتى جاء من أيقظها فسارت.

وكم من أمة شردت عن الصراط المستقيم حتى رزقت من هداها فرشدت.

على أن أولئك المتفردين العباقرة أنواع!

فمنهم من رمق القافلة التائهة وأبى أن يندفع معها فى وجهتها، واكتفى بأن ينفض يديه من أمرها، وألا يشاركها فى مسيرها، وكأن أبا العلاء المعرى يصور نفسية هؤلاء عندما قال:

خذى رأيى، وحسبك ذاك منى
على ما فى من عوج وأمت
وماذا يبتغى الجلساء عندى؟
أرادوا منطقى وأردت صمتى؟
ويوجد بيننا أمد قصى
فأموا سمتهم وأممت سمتى

والواقع أن اعتزال المجتمع الماجن الفاجر جهد غير قليل.

ترى هل هذا هو التغيير بالقلب الذى عده الحديث الشريف أضعف الإيمان، ربما، ولكنى ألحظ أن هذا الموقف قد يكلف صاحبه تضحيات فادحة، فإن المغاضبين لله قد يطلبون الأعوان على سيرتهم بالرغبة أو الرهبة.

وربما قالوا: من ليس منا فهو علينا!!

وهنا تقع محن شداد، فإن الإمام الأعظم أبا حنيفة كان مزورا عن حكام عصره، مكتفيا بتفقيه الجماهير فى دين الله، ولكن هؤلاء رأوا ضمه إلى صفوفهم كرها بأن عينوه قاضيا للقضاة، ومات الإمام فى السجن وهو يرفض المنصب المعروض!!

* * *

وهناك رجال من طراز آخر، لا يدعون المنكر يمر سالما أبدا، ويأبون إلا كشف زيفه وهدم صنمه، ومقاومة الجماهير العاكفة عليه.

وإذا كنا فى مجالس المناظرة، أو عند تحبير المقالات، نظن اعتراض التقاليد المستقرة أمرا سهلا، فان ذلك عند المعاناة العملية أمر شديد الوعورة مقلق الأخطار إن للوثنية عبادا يأكلون من يخدشها.

وانظر شدة غضب هؤلاء على من يعترض طريقهم فى قوله تعالى: ﴿ **وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ** ﴾ [القلم: ٥١]

وانظر شدة تمسكهم بباطلهم وإصرارهم على ملازمته أبدا فى قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً * إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا** ﴾ [الفرقان: ٤١، ٤٢]!!

فى وجه هذا التعصب الهائل، وفى وجه القوى الخفية، والجلية التى تؤازره، يعمل المصلحون لتغيير أوضاع وتبديل أحوال، ويتعرضون لنكد الحياة وسوء المنظر فى الأهل والمال!!

وعندى أن العبادة المنقطعة فى الصوامع ضرب من البطالة، أو هى على إحسان الظن والتعبير ضرب من المتع المعنوية، واللذات الروحية، يوفر لأصحابه الجو النفسى السعيد وحسب..!!

لكن هل يتغير وجه الحياة الدميم بهذه العبادة الخالصة؟

هل تنكمش سطوة الباطل بهذه الرهبانية المستوحشة من الخلق المنقبضة عن الدنيا؟ كلا.

إن الصلاح تزكية النفس، والإصلاح تزكية المجتمع.

والمسلم الحقيقى هو الذى يتعهد نفسه بالتقوى ويقبل فى الوقت نفسه على المجتمع ليؤازر الحق ويعوق الباطل، ويحب فى الله ويبغض فى الله، ويكثر سواد المؤمنين ويوهن كيد الكافرين.

إن الحياد فى كل معركة بين الخسة والشرف ليس موقفا مقبولا، وأصحاب هذا الموقف هم إلى الكفر أقرب منهم إلى الإيمان..!!

إن إبراهيم الخليل لما رفض الوثنية لم يسترح حتى هدم الأصنام، وكذلك فعل خاتم الأنبياء، وإن كان طريقه أطول وجهده أشق!!

ومن ثم كانت رسالات الله تغييرا حقيقيا للنفس والمجتمع، وثورة لا تبرد على العوج والفساد والظلم.

كانت محوا وإثباتا، محوا لعرف سئ وإثباتا لعرف صالح، محوا لتشريع ضال واثباتا لتشريع حق..

ان كل هداية لا تتحول من صلاح نفسى إلى إصلاح اجتماعى فهى – فى باب الخير – كالجنين الذى سقط قبل استكمال نموه، فما قدرت له حياة ممتدة، ولا عرف له تاريخ مشرف.

وبديهى أن ينهزم الخير السلبى أمام الشر الايجابى.

ماذا فعل صالحونا – فى قرون الضعف – لما آثروا العبادة فى زواياهم وتركوا لغيرهم أن يكتشف استراليا والدنيا الجديدة وينقل اليها عقائده وتقاليده؟

ما أفاد الدين من سيرتهم شيئا طائلا على حين ظفر بالحياة من ظفر!!

وإنى لأنظر الى نعمة الايمان التى تغمرنا فاجدها ثمرة قوم وثبوا بالايمان من أرض الى أرض، ووضعوا طابعهم بقوة على المجتمع، فسرت صبغتهم من جيل إلى جيل.

على رجال الحق لا أن يثبتوا عليه فقط بل أن يصعدوه من أفق الى أفق وينقلوه من قلب الى قلب.

فان الباطل المتحرك على ظهر الأرض لن يقفه إلا إيمان متحرك ناشط مقدام.

* * *

فى ذكرى الميلاد الشريف أرنو إلى صاحب الرسالة العظمى بإعظام ودهشة وأتساءل: كيف استطاع اليتيم الفرد إعداد القوة التى فتكت بالباطل المستكبر واستخلصت من براثنه حقوقا منهوبة، وشعوبا مستباحة؟

كيف أعاد إلى الحق رونقه بعد ما تكدر، وقيمته بعد ما ابتذلت؟

إنها السيرة المعجبة المعجزة التى أقلقت المبطلين، وقذفت فى نفوسهم الفزع حتى ليقول هذا الرسول البطل: «نصرت بالرعب من مسيرة شهر»!!

أين من هذا الأوج، أمتنا التى استنسر فى أرضها البغاث، وبالت على آلهتها الثعالب؟؟

ما أبعد هذه الأمة عن محمد! وأضلها عن طريقه!